الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
University Of Damascus
كلية الفنون الجميلة الثانية ـ السويداء

تاريخ الفن (4)

المحاضرة ـ 6

الفن في القرن السابع عشر

النهجيـــــــة و البـــــــاروك

Mannerism and Baroque

مدرس المقرر

أ.د.عبداللطيف سلمان

الفن في القرن السابع عشر

النهجيـــــــة و البـــــــاروك

Mannerism and Baroque

1- لمحـــة تاريخيـــة:

كانت إيطاليا في بداية القرن السابع عشر تحت الحكم الأسباني عهد أسرة هبسبورغ التي سيطرت على ميلانو ونابولي وصقلية وسردينيا وتركت فيها الأثر الأسباني في الفن. أما في مانتوفا وبارما وبليزانس وموديا وبيمونت فلقد كان التأثر الفرنسي فيها واضحاً.

2- التصويـــر النهجـــي في إيطاليـــا:

إن كلمة **النهجية Mannerism** لم تكن في بدايتها تعني تقديراً للاتجاه الذي بدا مخالفاً لأسلوب عصر النهضة، إلا أن هذه الكلمة أخذت معنى إيجابياً في الآونة الأخيرة، فأصبحت تعني رؤية أو طريقة خاصة في حل المشاكل الفنية، أو هي حساسية تبحث عن شكل. ولقد كانت هذه التسمية تطلق على الفن الذي ظهر بين عصر النهضة والباروك.

أما اليوم فلقد أصبحت ترى وكأنها نهج استقلالي عام ورؤية فنية محددة جداً، رغم تنوعها القومي. ففي الوقت الذي يعتبر فيه فن عصر النهضة إيطالياً، فإن الفن النهجي قد انتشر في جميع أنحاء أوروبا بعد أن ظهر في توسكانيا منذ عام (1510)م. ويقوم الفن النهجي على دراسة الشكل والمساحة، اللون والنور على أساس إبراز التعبير النفسي القلق إلى درجة التحوير.

وهكذا فإن هذا الأسلوب قد حطم مبادئ عصر النهضة بأن أحلَّ التحوير مكان الانسجام، والهوى مكان القياس، والقلق عوضاً عن الطمأنينة. وهكذا مهدت النهجية لظهور أسلوب أوروبي أطلق عليه اسم الباروك، على أن النهجية إنما ولدت في أحضان عصر النهضة على يد نجومها الثلاثة، كما نرى ذلك واضحاً في لوحة ليوناردو دافنشي "**ليدا و البجعة**" (الصورة رقم 1):

الصـــــــورة رقم 1: ليوناردو دافنشي – ليدا والبجعة.

ومن أبرز رواد هذا الاتجاه جاكوبو بونترمو Pontermo في توسكانيا وصديقه برونزينو Bronzino، وفي سيينا كان بيكافومي Beccafumi قد خط اتجاهاً آخراً، وكان سالفياتي Salviati في روما وسطاً بين الاتجاهين.

وهكذا فإن النهجية بدت بأشكال مختلفة، بعضها يقوم على تعديل النسب فيبدو الرأس صغيراً بالنسبة لطول الجسم، كما هو الأمر عند بارميجيانو Parmigiano (1503–1550)م. الإيطالي ولقد استقر هذا الاتجاه في أسلوب مدرسة فونتينبلو الفرنسية عند الفنان كلوه Clouet.

وهناك اتجاه **تكعيبي** Quadrature سعى إلى تجسيم الأشياء إلى درجة التضليع، وقد بدا هذا الاتجاه عند كامبيازو Cambiaso (1527–1585)م. في فلورنسا، أو عند شيدونه Schedone (1578–1615)م. في بولون الإيطالية. وبدت النهجية أيضاً في النور المركز، وفي التضاد القوي كما هو الأمر عند كامبيازو و بيكافومي.

أما في البلاد الواطئة – هولندا– فإن النهجية بدت على شكل مبالغات خيالية في أعمال فان كونينكسولو Van Coninxoloo (1500–1558)م.

وفي مجال الحركة فإن فونترا التوسكاني و بونترومو و روسو فيورنتينو Rosso Fiorentino (1494–1540)م. وبيرميجيانو قد اشتركوا جميعاً في المبالغة بالحركة المسرحية.

الصورة رقم 2: مدرسة فونتينبلو – "ديانا في الصيد".

أما **مدرسة فونتينبلو** Fantainbleau في فرنسا، فإنها في الواقع ابتدأت استمراراً للنهجية الإيطالية، ولكنها تركزت هناك بالطابع الجنسي وبالأسلوب الزخرفي، وبإطالة الأجسام الأسطورية العارية (الصورة رقم 2). وكان جان كلوه Clouet (1540)م. رسام الملك فرانسوا الأول من ممثلي المرحلة الأولى لهذه المدرسة، مع جان كوزان Cousin (1490–1560)م. وغوجون Goujon.

ثم امتد التأثير النهجي بعد ذلك إلى بلاد الفلمنك، فظهر عند فلوريس Floris (1516–1570)**م**. وعند النحات أوربان دوفريز De Vriez (1560–1603)م. وعند سبرانغر Spranger (1546–1627)م.، وبروغل Bruegel (1515–1569)**م**. الذي تحول فيما بعد نحو أسلوب نقدي أصبح مصدراً للسريالية الحديثة.

3– الاتجاهـــات المناهضـــة للنهجيـــة:

أ– **في إيطالـــيا**: وجدت الحركة النهجية أمامها اتجاهين مناهضين مختلفين:

1– الأول يمثله كارافاجيو وهو اتجاه واقعي.

2– والثاني يمثله كاراشي وهو اتجاه انتخابي تزييني.

الصـــــورة رقم 3: كارافاجيو – "عازف العود" .

يعتبر الفنان كارافاجيو Caravagio (1573–1610)م. من كبار فناني القرن السابع عشر، وذلك للثورة التصويرية التي حققها عن طريق العودة إلى الطبيعة والواقع، والتحكم بإبراز الأشياء بتوجيه النور توجيهاً جانبياً. ومن أبرز أعماله "عذراء الحجاج" و "بعث المسيح" ولوحة "**عازف العود**" (الصورة رقم 3)، ولقد انتشر تأثيره في أنحاء أوروبا.

ومن أتباعه بورغياني Borgianni في أسبانيا، وساراشيني في البندقية، ومانفردي و سيردويني.

أما كاراشي Carrachi فإنه اسم يطلق على ثلاثة فنانين أبرزهم هانيبال (1560–1609)م. وانتقلت عائلة كاراشي من كريمون، ودرس الأخوة الثلاثة هناك أعمال كارافاجيو والفنانين البندقيين، واشتغلوا معاً بإشراف أخيهم البكر لويس، وهو يتبع الأسلوب الواقعي الدقيق الذي يشابه أسلوب كارافاجيو. وفي بولون أسسوا أكاديمية أشرف عليها هانيبال الأخ الأصغر، ولقد أوجد هؤلاء قواعد أساسية جديدة تقوم على انتخاب ميزات الأساليب السالفة في أسلوب مركب واحد، يجمع مثلاً بين رسم رافائيلو وتشريح مايكل أنجلو وألوان دافنشي والفن اللومباردي. والواقع أن النهجية كانت تسعى إلى التركيب والانتخاب أيضاً، ولكن الأخوة كاراشي (الثلاثة) كانوا أكثر مهارة في عملية الدمج والتوحيد.

الصـــــورة رقم 4: هانيبال كاراشي – " الصيد" .

ومن أبرز أعمال هانيبال كاراشي "ولادة العذراء"، و "**الصيد**" (الصورة رقم 4)، كما زين قصر فرنيزه في روما عام (1595)م. ويعتبر غويدو ريني Guido Reni (1575–1642)م. من أبرز ممثلي هذا الاتجاه التزييني، ولقد زين قصر باولين وصور لوحة "تاريخ هرقل" و "صعود هيلين".

ومن أتباع كاراشي أيضاً، دومينيكان (1580–1641)م. وألباني Albani (1578–1660)م. وغويرشينو Guircino (1591–1666)م.

ب– فـــي فرنســـا: انتقل تأثير كوريجيو بواسطة فالانتين Valentine (1594–1632)م. وتوسع هذا الأسلوب في المحافظات، في طولون وديجون واللورين.

على أن الأسلوب الواقعي تمثل بقوة في فن لونان Le Nain (1594–1648)م. وهم أخوة ثلاثة أيضاً. وفيليب شامبين Chmpaigne (– 1721)م.ويعتبر هذا مع لوسور Le Sueur (1617–1655)م. أكبر فنان ديني، ولقد تأثر الأخير بفن رافائيلو وبأسلوب أستاذه فويه Vouet (1590–1649)م.

ولقد استطاع نيكولا بوسين Nicola Poussin (1594–1665)م. أن يقيم دعائم نهضة فنية فرنسية، فلقد تأثر كثيراً بالفن الإيطالي إذ أقام في روما طيلة حياته تقريباً. ثم صور في قصر اللكسمبورغ ومن أشهر أعماله "**العائلة المقدسة**" (الصورة رقم 5) و "الفصول الأربعة" للدوق ريشيليو، و (أبولون ودفنه).

الصورة رقم 5: نيكولا بوسين – "العائلة المقدسة" .

أما **لوران** Lorrain (1600–1682)م. فلقد عاش مع صديقه بوسين في إيطاليا، وكان مقرباً من البابوات، وهو رسام واقعي طبيعي في أسلوبه إلا أن موضوعاته كانت مستوحاة من التاريخ والأساطير. على أن الطابع الشعري والحركة الضوئية في أعماله جعلتا منه فناناً مجدداً، خاصة وأنه كان ينقل الطبيعة من الواقع. ومن أشهر أعماله، لوحة "إقلاع مركب كليوباترا" و لوحة "**هيرميني و الرعاة**" (الصورة رقم 6):

الصورة رقم 6: لوران – "هيرميني و الرعاة" .

مفهـــوم الباروكيـــة:

كلمة **باروك** Baroque هي اسم الفن الذي سيطر على أوروبا منذ القرن السابع عشر، ولقد تبعتها كلمة **روكوكو** Roccoco كتسمية لمدرسة فنية مشابهة. والتسمية استعملت للدلالة على فن بعيد عن الذوق السائد، مخالف لمفهوم الفن الكلاسي، وقد استعمل هذه التسمية فنانو الكلاسية المحدثة منذ القرن التاسع عشر.

مما لا شك فيه أن هذه التسمية لا يمكن أن تكشف عن مدلول الفن في ذلك العصر، ولكن استعراضنا

لمعالمه المختلفة في التصوير والنحت والعمارة يكشف لنا أولاً، أن هذا الفن هو شكلي Formalist، ثم أنه تمثيلي representative ينقل صورة إنسان ذلك العصر بأوضاع مسرحية تمثل حياته الخاصة، ذلك أن الإنسان الإجتماعي أخذ حقه مرة أخرى من التقدير، وكان هذا سبباً للتعبير عن السمو الذي كان يعيش على مسرحه الملوك الذين دفعوا الفنانين إلى الإبداع. ولقد كان لويس الرابع عشر مثال هؤلاء الملوك، كما كان روبتز Rubens السيد الدبلوماسي والفنان العبقري، التعبير الأقوى عن هذا المجد الإنساني.

على أن الطابع الذي تميز به الفن الباروكي الذي امتد بين عامي (1600–1800)م. لا يمكن أن نحكم عليه إلا من خلال تطور المفهوم الأوروبي للفن. ذلك أن ما تميزت به أوروبا في ذلك الوقت، هو وحدة النظم الملكية والعقيدة المسيحية. وهكذا فإن مجال هذا الفن كان قبل كل شيء في القصر وفي الكنيسة.

لقد كانت واقعية كارافاجيو التي أعقبت عصر النهضة، تقوم على قوانين التوازن التي نقلتها إلى التناظر الدقيق. أما في العصر الباروكي فلم يعد للإنسان ميزة المقياس؛ ولم تعد له الأفضلية في الموضوعات، وحلت العفوية والأشكال النباتية والزخرفية مكان ذلك النظام.

ويبدو فن الباروك صورة قوية لتحرر الفن من ربقة الكنيسة. وهكذا انتقل الفن الباروكي ليصبح في خدمة الطبقة البورجوازية، الطبقة المترفة التي أرادت أن يكون الفن مظهراً من مظاهر ثروتها وأناقتها، وبدا ذلك بوضوح في ديكور المسارح، أو في احتفالات التعبد، ومثالها واقية المنبر التي صممها برنيني في كنيسة (سان بيير) في روما.

الصـــــورة رقم 7: برنيني .

إن نفس هذه المظاهر الفنية قد بدت بصورة خاصة في الشمال من ألمانيا وفي فرنسا تحت اسم روكوكو. ولقد وصل الروكوكو في ألمانيا ذروته في التزينات الداخلية لكنيسة ويس Wise في جنوب بافاريا، أو في قصر زفينغر في درسدن. أو في إيطاليا كنيسة كارلو، وقبة كنيسة سانت سوير. ولكن يبقى **النحات برنيني** أعظم من مثل عصر الباروك في النحت (الصورة رقم 7).

4- العمارة الباروكية :

في إيطاليا كانت كنيسة سان بيير في الفاتيكان من أعظم آثار القرن السابع عشر، غير أن العمارة في هذا العصر اتجهت اتجاهاً جديداً وخاصة بعد أن تم الحؤول دون توسع حركة الاصلاح الديني التي حاربت الترف والزها. وقد سمي هذا الاتجاه بالاتجاه الباروكي كما ذكرنا.

وكان المعمار فينيولا Vignola وجياكومو دللابورتا Della porta هم من أوائل المعماريين الباروك، وكان أكثر المعماريين مصورين أو نحاتين. مما جعل أسلوب الباروك يمتد بسرعة إلى جميع الفنون.

ومن أبرز المعماريين الباروك مادرنو Maderno (1556–1629)م. الذي كلف من قبل البابا بول الخامس بإنهاء كنيسة سان بيير. فزاد من طول الجناح الغربي وأقام الواجهة التي أصبحت زينة الكنيسة. وأقام مادرنو أيضاً قبة سان أندريا دللافالي أكبر قبة بعد قبة سان بيير (الصورة رقم 8).

الصـــــورة رقم 8: مادرنو – "قبة سان أندريا دللافالي".

جيان لورنزو برنيني Bernini (1598– 1680):

يعتبر برنيني الممثل الأقوى لفن الباروك في النحت خاصة وفي العمارة، ففي العمارة قام **برنيني** بأول أعماله المعمارية في كنيسة سان بيير (القديس بطرس) أقام واقية المنبر Baldequin وهي تقع تحت القبة تماماً، قائمة على أعمدة لولبية أصبحت واسعة الانتشار فيما بعد (الصورة رقم 9).

الصـــــورة رقم 9: جيان لورنزو برنيني – "واقية المنبر في كنيسة سان بيير" – روما.

والعمل الرئيسي لبرنيني هو إقامة أروقة ساحة الفاتيكان، وكان ذلك في زمن البابا الكسندر السابع، وعدد أعمدة الأروقة (284) منتشرة حول الساحة البيضوية على أربعة أرتال مشكلة ثلاثة ممرات متوازية، وفي أعلى الطنف وفي القسم المشرف على الساحة، انتصبت تماثيل برنيني، وعددها (140) وهي تمثل القديسين يفتحون أيديهم لاستقبال المؤمنين.

فرانشيسكو بوروميني Borromini (1599–1667)م:

ابتدأ حياته في ميلانو ثم مضى إلى روما كي يدرس فيها الآثار الرومانية، وكان صنوا لبرنيني مخالفاً له، إلا أن الأول كان نحاتاً قبل أن يكون معماراً. أما بوروميني فكان معماراً أقام فنه على المتانة والجزالة، وكان من رواد هذا الاتجاه الباروكي الذي يقوم على الاهتمام باللون الأبيض والذهبي والانحناءات. ومن أشهر أعماله كنيسة سان كارلو على الينابيع الأربعة st. carlo alle Quatro Fontano (1634–1641)م. بالإضافة إلى كنيسة سان آن على ساحة نافونه Plazza Navona. ولقد امتد تأثير هذا المعمار الباروكي الشهير إلى جنوب ألمانيا، حتى إلى أمريكا الجنوبية.

العمارة في أوروبا:

في فرنسا: تأثرت العمارة الفرنسية بالأسلوب الباروكي الإيطالي. غير أن العمارة المدنية بقيت فرنسية، ولقد تجسد ذلك منذ أن استدعى لويس الرابع عشر برنيني إلى باريس لكي يقيم أعمدة الجناح الشرقي في اللوفر، غير أن الفرنسيين رفضوا بقوة أسلوبه، وهكذا فشل في تنفيذ مشروعه، ونجح الفرنسيون أمثال لوفو ولوبران وخاصة بيرو Perrault، فكان الفناء المربع وواجهة الأعمدة في اللوفر نموذجاً للفن الكلاسي الفرنسي. بيد أن الأسلوب الباروكي بقي شائعاً في الأعمال التزيينية.

وينقسم **المعماريون الفرنسيون** في القرن السابع عشر إلى زمر ثلاث:

الزمرة الأولى: تابعت الأسلوب الباروكي ومن الفنانين لوموِّه Le Muet وجاك، الذي اهتم بالتزينات المسرحية.

والزمرة الثانية: ظهرت عقب عام (1660)م. وقامت على جمالية وظائفية ومنهم لوفو Le Veu الذي

اشتغل في بناء فرساي، ومانسار Mansard (1598–1666)م. وكان مقرباً للويس الخامس عشر وكلف بتنظيم الأبنية وبدت أهم مشاريعه في فرساي وماري. أما كلود بيرو Perrault (1613–1688)م. فقد اشترك في بناء واجهة الأعمدة في اللوفر.

أما **قصر فرساي** الذي أمر ببنائه لويس الثالث عشر، فلقد بوشر ببنائه في عام (1624)م. وفق مخطط مبسط مؤلف من ثلاثة أقسام حول ساحة من الرخام، وهو يقوم على الأسلوب الفرنسي الخالص، ولقد اشترك بعمارته **لوفو** وساعده **أورباي** Orbay ثم قام **لونوتر** Le Notre بتنسيق الحديقة.

وفي انكلترا: اتجهت العمارة نحو أسلوبين قديمين؛ الأول أطلق عليه اسم الأسلوب البالاديالي Palladianism نسبة إلى المعمار الإيطالي بالاديو الذي تبنى الفن الكلاسي، والأسلوب الثاني هو الأسلوب الغوطي المتأخر Late Gothic الذي ظهر في بعض الكنائس والأبنية العامة كمكتبة أكسفورد.

7– النحت الباروكي:

كان النحات جان لورنزو برنيني قد سيطر بأسلوبه الباروكي الجديد على النحت في روما، وطغى على الأعمال النحتية الكلاسية التي كان قد أنجزها النحاتون السابقون. وبرنيني الذي تحدثنا عنه كمعمار، هو نحات بالدرجة الأولى، ولد لأب نحات أيضاً، ولقد اشتغل بتشجيع من البابا أوربان الثامن والكسندر السابع، وكان أسلوبه تصاعدياً حركياً وموضوعاته معبرة فيها بعض الأثر الهلنستي، وخاصة الموضوعات الأسطورية مثل تمثال (أبوللون ودفنه)، وقد حفلت بنوع من الصوفية الشهوانية. ومن أعماله الشهيرة، مقبرة البابا وتزيينات سان بيير وخاصة المنبر. ثم تماثيل سان بيير و"نبع الأنهر الأربعة" في ساحة نافونا في روما (الصورة رقم 10).

الصـــورة رقم 10: برنيني – "نبع الأنهر الأربعة" – روما.

وانتقل التأثير الإيطالي إلى فرنسا مشكلاً أسلوباً (تقليدياً)، ومن النحاتين الذين تأثروا ببرنيني جيراردون Girardon (1625–1715)م. وقد أنجز بعض تماثيل فرساي، ومن أعماله تمثال ريشيليو.

أما أنطوان كوازفو Coysevox (1640–1720)م. فلقد لمع في أعماله النحتية في فرساي. كذلك اشتهر نيكولا كوستو Coustou (1659–1733)م. بحصاني مارلي في الشانزيليزيه.

وفي ألمانيا انتشر فن الباروك الإيطالي لفترة طويلة في الجنوب، بينما استقر الأسلوب الفرنسي في برلين، ومن أشهر المعماريين الباروك في دريسدن بالثازار بيرموزر Permoser (الصورة رقم 11)، وأندريا شلوتر Schluter (1640–1714)م. أكبر نحاتي القرن (17)، ولقد تأثر بالنحات بوجيه.

الصـــــورة رقم 11: أندريا شلوتر .

==========